المحاضرة الثالثة عشر : الجدل

تعريف الجدل:

أ. لغة:

له معاني لغوية كثيرة منها: اللدد في الخصومة والقدرة عليها ، وهذا المعنى مشتق من معاني أخرى منها : الفتل أو شدة الفتل، ومنه زمام مجدول أي مفتول.

ومنها: القوة والاشتداد ولذلك قيل للصقر الأجدل لقوته.

ومنها: الصرع، ولذا قيل جدله فانجدل وتجدل: أي صرعه على الجدالة وهي الأرض، ومن معاني الجدل الإحكام والانتظام، ولذا قيل للقصر المشرف "المجدل" وجدلاء ومجدولة: محكمة النسج ودرع جدلاء

ويدخل في هذا الجدول أي جدول الماء ، لانتظام جريانه وتناسقه، والجدل الناحية والطريقة والقبيلة

ويراد بالجدل في اللغة امتداد الخصومة ومراجعة الكلام بين متكلِّمَيْنِ في مسألة يخْتلِفَانِ فيها، إذَا نظر الإنسان إلى مادّة الجدل في اللُّغة وجد أَنهَا تعود إلى هذا المعنى.

ب. اصطلاحا:

: يعرف أبو الوليد الباجي في المنهاج في ترتيب الحجاج " ص 11 . الجدل بأنه : "تردد الكلام بين اثنين قصد كل واحد منهما تصحيح قوله وإبطال قول صاحبه ".

ويسرد الجويني في الكافية في الجدل ص 21 تعريفات متعددة للجدل، ثم يعترض عليها ويختار هو التعريف التالي: الجدل "إظهار المتنازعين مقتضى نظرتهما على التدافع والتنافي بالعبارة، أو ما يقوم مقامها من الإشارة والدلالة"

ويلاحظ أن تعريف الجويني هذا يرتبط بالمعنى اللغوي، ويعتصم به لأنه قائم على التدافع بين الخصمين لأن أحد معانيه اللغوية الصرع من المصارعة.

كما يلاحظ عليه أنه يدخل في الجدل المناظرات الشفوية والكتابية لأنه قال بالعبارة أو ما يقوم مقامها من الدلالة والإشارة.

وعلى هذا يبدو أن الجدل لا يكون إلا بين اثنين متنازعين فأكثر وهو ما نلاحظه في تعريف الباجي السابق، والجويني، كما نلاحظه في تعريف العكبري "ت : 616 هـ" التالي : الجدل هو : "عبارة عن دفع المرء خصمه عن فساد قوله بحجة أو شبهة، وهو لا يكون إلا بمنازعة غيره " أما الجرجاني فيالتعريفات ص 101 ، 102 . فيعرف الجدال بأنه: "عبارة عن مراء يتعلق بإظهار المذاهب وتقريرها"، ويعرف الجدل بأنه : "القياس المؤلف من المشهورات والمسلمات والغرض منه إلزام الخصم وإفحام من هو قاصر عن إدراك مقدمات البرهان أو هو دفع المرء خصمه عن إفساد قوله بحجة أوشبهة.

ويبين لنا إمام الحرمين الجويني المناسبة بين المعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي الذي عرفه به العلماء فيقول : "إن قلنا إنه في اللغة للإحكام فكأن كل واحد من الخصمين إذ كان يكشف لصاحبه صحة كلامه بإحكامه وإسقاط كلام صاحبه، سميا متجادلين ".

وإن قلنا : إنه مأخوذ من الفتل، فلأن كل واحدٍ من الخصمين يفتل صاحبه عما يعتقده إلى ما هو صائر إليه وإن قلنا من الصرع فكأن الخصمين يتصارعان وكل واحدٍ منهما يقصد إسقاط كلام صاحبه بغلبته وقوته

وَابْنُ عَقِيلٍ الحَنْبَلِيُّ يُعَرِّفُ الجَدَلَ بِأَنَّهُ الفَتْلُ لِلْخَصْمِ عَنْ مَذْهَبٍ إِلَى مَذْهَبٍ بِطَرِيقِ الحُجَّةِ. وَهَذَا فِيهِ مَعْنًى لُغَوِيٌّ، أَنَّ الجَدَلَ بِخِلَافِ الإِبْرَامِ، وَكَأَنَّهُ أَخَذَ هَذَا التَّعْرِيفَ الِاصْطِلَاحِيَّ مِنَ المَعْنَى اللُّغَوِيِّ.

وَالعلامة ابْن حزم يقول في تعريف الجدل: هو إخبار كل واحد من المُخْتَلِفَيْنِ بحجته أو ما يظن أنه حجَّة

ويعرف أَبو يعلى الحَنْبَلي الْجدل بقوله: الجدل تردد الكلام بين اثنين إذا قصد كل واحد منهما إحكام قوله ليدفع به قول صاحبه.

ومن مرادفات الجدل والمجادلة نجد المناظرة وهي " النظر بالبصيرة من الجانبين في النسبة بين شيئين إظهاراً للصواب " وقد يكون مع نفسه ، ومنها المكابرة وذلك إذا علم المجادل بفساد كلامه وصحة كلام خصمه وأصر على المنازعة ، ومنها المعاندة وهي المجادلة مع الجهل بالقضية التي يجادل فيها.

ومنها المحاورة وهي المراجعة في الكلام ومنه التحاور أي التجاوب ، وهي ضرب من الأدب الرفيع، وأسلوب من أساليبه ، وقد ورد في موضعٍ واحد في القرآن الكريم " والله يسمع تحاوركما " وقريب من ذلك المناقشة.

**الجدل في الفلسفة**

الجدل مصطلح يوناني يعني أصلاً فن الحوار أو النقاش. وهو علم القوانين الأكثر عمومية التي تحكم الطبيعة والمجتمع والفكر

نشأ الجدل في اليونان مع الفيلسوف زينون الإيلي[ر] في القرن الخامس قبل الميلاد، وقد كانت أغاليطه نماذج من الجدل الجاد التي استثارت فلاسفة عصره للرد عليها. ولكن هذا الجدل الذي كان فناً للتحاور بغية الوصول إلى الحقيقة، بطرح الفكرة والفكرة المضادة لها عن طريق السؤال والجواب، تحول مع السفسطائيين[ر] إلى منهج مهني تعليمي نقدي، ووسيلة لعب بالألفاظ لإخفاء الحقيقة، ثم جاء تهكم سقراط[ر] صورة متقدمة لجدل زينون. فأصبح أسلوب تفكير ومنهج توليد للحقيقة، وذلك بتوجيه الأسئلة للخصم وتوليد الإجابات عليها، محاولاً أن يوقع خصمه في التناقض بطريقته التهكمية التي تقوم على طرح معنى ينفي المعنى الأول.

وصار الجدل مع أفلاطون[ر] علم تصنيف المفاهيم وتقسيم الأشياء إلى أجناس وأنواع، إضافةً إلى أنه فن إلقاء الأسئلة والأجوبة، أي إنه تحول إلى منهج وعلم، فهو المنهج الذي يرتفع بالعقل من المحسوس إلى المعقول، وهو العلم بالمبادئ الأولى التي يبلغها الفيلسوف بدراسة العلوم الجزئية، لذلك قسمه أفلاطون إلى جدل صاعد ascendingينقل الفكر من الجزئي إلى الكلي، من المدركات الحسية إلى المعاني الكلية إلى التعقل الخالص إلى «المثل»، وجدل نازل descendingينزل

بالعقل من أرفع المثل إلى أدناها بتحليلها وترتيبها في أجناس وأنواع.

من قسمة أفلاطون، وبنى منطقه الصوري على فهمه للجدل كاستدلال، فأطلق على syllogismواستخلص أرسطو قياسه ، لأن موضوعه الاستدلالات التي تكون مقدماتها محتملة. فقد logic of probabilityالجدل الأرسطي اسم منطق الاحتمال فرق بين الجدل أي علم الآراء الاحتمالية وعلم التحليلات أي علم البرهان. وتمتع الجدل عند أرسطو بقيمة كبيرة، بوصفه وسيلة للتدريب على التفكير وطرائقه واختبار صدق المبادئ الأولى غير المبرهنة للعلوم.

وقد طوره سينيكا .واحتل الجدل مكانة عالية عند الرواقيين[ر]، وخاصة عند أقريسيبوس، فهو عندهم المنطق الصوري كما استخدم الجدل في الفلسفة المدرسية ليشير إلى .ليشمل أشكالاً من الاستدلال تُدرج اليوم مع حساب القضايا المنطق الصوري مقابل فن البلاغة. وبرغم تفشي الميتافيزيقة، فقد قدم ديكارت (في نظريته عن خلق الكون) واسبينوزا (في رأيه عن الجوهر باعتباره علة ذاته)، نماذج من الفكر الجدلي الحقيقي، وقدم روسو وديدرو ثروة من الأفكار الجدلية، عالجت التناقض في الوعي الاجتماعي باعتباره شرطاً للتطور التاريخي.

وأظهرت المثالية الكلاسيكية الألمانية أهم مرحلة قبل الماركسية في تطور الجدل، فقد أحدث كَنت، في تبنيه موقف ديكارت عن إدخال التطور في معرفة الطبيعة، أول ثغرة في الميتافيزيقة، فطوّر الأفكار الجدلية الخاصة بالنقائض في مبحث المعرفة، وكرّس بحثه في المنطق لمناقشة الجدل «الترانسدنتالي» بغية كشف وَهْم الأحكام الترانسندنتالية (أي الأحكام التي تتخذ موضوعات لها تتجاوز حدود التجربة). وبهذا جعل «كَنت» من الجدل طريقة مشروعة للبرهنة العقلية، وعملية ضرورية من عمليات العقل في محاولاته الفرار من دائرة الحس والظواهر والدخول في عالم الأشياء في ذاتها، لاقتناعه أن العالم يمكن أن يكون موضوعاً للمعرفة النظرية التأملية، فالجدل عند كَنت، هو منطق للظاهر وما يقتضيه من قواعد وقوانين تستخدم في تحديد الموضوعات التي لا تتفق مع المعايير الصورية للحقيقة.

إلى منهج يحتوي على أفكار جدلية مهمة، أطلق عليه تعبير «منهج التناقض «ودعا فيخته في كتابه «النظرية العلمية ومركب القضية antithesisوالنقيضthesisللمقولات الاستدلالية»، وقدم أول مرة ثلاثيته الشهيرة: القضية .، وتابعه عليها شيلنغ، مؤكداً الاستيعاب الجدلي لظواهر الطبيعةsynthesisوالنقيض

وبلغ الجدل مع هيغل ذروته، وأصبح منهجاً فلسفياً شاملاً، «قدم معه العالم كله الطبيعي منه والتاريخي والعقلي أول مرة آمن هيغل بأن الجدل ليس صفة عارضة للتفكير ولا .«على أنه صيرورة، أي في حالة حركة وتغير وتحول وتطور دائم خاصية أو نشاط ذاتي له يمكن أن ينطبق على الموضوع من الخارج، بل له طابع موضوعي عام، فالمنهج لا ينفصل عن موضوعه، إنه المضمون وما يكمن في هذا المضمون من تناقض هو الذي يحركه، يجعل منه مبدأً عاماً يدرس الأشياء في طبيعة وجودها ذاته وفي حركتها، الجدل عنده مبدأ كل حركة تكون علمية، أي فلسفية.

وتطور عن الجدل الهيغلي الجدل الوجودي عند كيركغورد، الذي انتقده لقيامه على مبدأ التناقض بين الذات والموضوع وتقسيمه العالم إلى موضوعي وذاتي، واعتباره العالم بما فيه الإنسان موضوعاً غريباً عن الإنسان.

وبرز مع ماركس و أنجلز الجدل العلمي الحقيقي الذي يضم القوانين التي تحكم تطور الوجود وقوانين المعرفة، فقد استأصلا المضمون المثالي لفلسفة «هيغل»، وأقاما الجدل على فهمهما المادي للعملية التاريخية، وتطور المعرفة، وعلى تعميمها للعمليات الواقعية التي تحدث في الطبيعة والمجتمع والفكر. وهكذا أصبح الجدل المادي منطقاً يعدّ الفكر والمعرفة مساويين للوجود، الذي هو في حالة حركة وتطور، ومساويين للأشياء والظواهر، وهي في حالة صيرورة في عملية

التطور، وهو المنهج الفلسفي لبحث الطبيعة والمجتمع، فيه يعد التناقض المقولة الرئيسة، لأنه يكشف عن القوة الدافعة ومصدر كل تطور، كما أنه يحتوي على مفتاح جميع المقولات الأخرى، ومبادئ التطور الجدلي: قانون نفي النفي، قانون الانتقال من التغيرات الكمية إلى التغيرات الكيفية، قانون صراع الأضداد والتناقض.

أنواع الجدل :عادة ما نميز بين نوعين من الجدل هما:

الأول: جدال ممدوح وهو كل جدال أيد الحق وأوصل إليه

قال تعالى: ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ [النحل: 125]، وقال عز وجل: ﴿ وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ ﴾ [العنكبوت: 46]، وقال تعالى عن قوم نوح عليه السلام: ﴿ قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ [هود: 32

وهذا النوع من الجدال أحياناً يكون واجباً، وأحيانا يكون مستحبا، فيكون واجبا إذا أثيرت الشبهات في وجه الإسلام، وقام بعض الناس بتزييف الحقائق لطمس معالم الإسلام، أو لتشويه صورته، فأقول: هنا تجب المجادلة لتبيين حقائق الإسلام، وكشف زيف خصومه، ومع ذلك فإن المجادلة والحال هكذا يجب أن تكون بالتي هي أحسن كما أمر ربنا تبارك وتعالى، فليس فيها شيء من السب والشتم، بل ليس فيها إلا إظهار الحق وتبينه للناس.

وقد يكون الجدال مستحباً لدعوة غير المسلمين للإسلام، وذلك ببيان ما هم عليه من سوء الديانة وفساد المعتقد، وتحريف ما بين أيديهم من الكتاب إذا كانوا أهل كتاب، مع بيان دين الله تعالى وذلك أيضاً لا يكون إلا بالتي هي أحسن كما أمر ربنا تبارك وتعالى.

قال الله تعالى :﴿ وَلا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ ﴾

والمجادلة بالتي هي أحسن: هي التي تكون على علمٍ وبصيرة، وبحسنِ خُلُق ولطفٍ ورِفْق ولين، وحسن خطاب، ودعوةٍ إلى الحقّ وتحسينه، ورد الباطل وبيان قُبْحه، بأقرب طريقٍ موصل إلى ذلك، وألاَّ يكون القصد منها مجرد المغالبة وحب العلوّ؛ بل يكون القصد بيان الحقّ وهداية الخلق").

قال الشافعي رحمه الله: "ما ناقشتُ أحدًا في مسألة إلا وتمنيت أن يُظهِرَ الله الحقَّ على لسانه

الثاني: الجدال المذموم:

وقال الكفوي رحمه الله في الكليات: ص 353عن الجدال المذموم: "هو عبارة عن دَفْع المرء خَصْمَهُ عن فساد قوله بحجَّةٍ أو شبهة، وهو لا يكون إلا بمنازعة غيره"؛

والجدال المذموم: هو كلُّ جدال أيَّد الباطلَ، أو أَوْصَل إليه، أو شغل عن ظهور الحقّ ووضوح الصَّواب، أو كان بغير علمٍ وبصيرة، فهو ناشِئ عن جهلٍ، وسوءِ خُلُق، وتعَصُّبٍ للرَّأي، والغرض منه: الظُّهور والفخر، فصاحبه يتعصَّب لرأيه، سواء كان على صوابٍ أو خطأ، وإن رُدَّ عليه بعض كلامه يَغضب، ولا تهدأ نفسُه حتى يتنازل مَن يناظره عن رأيِه

وينقسم إلى أقسام كثيرة فمنها ما هو كفر بالله تعالى، ومنها ما يوجب النار عياذاً بالله تعالى، ومنها ما هو علامة على الضلال، ومنها ما يورث العداوة ويقطع المودة، ومنها ما يولد الكبر في قلب صاحبه.

وحذَّر النبيُّ ﷺ من الجدال المذموم؛ فقد أخرج الإمامُ أحمد والترمذي عن أبي أمامة الباهلي ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: ((ما ضلَّ قومٌ بعد هدًى كانوا عليه، إلاَّ أُوتوا الجدلَ))، ثمَّ تلا: ﴿ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴾ [الزخرف: 58]؛ (صحيح الجامع: 5633

وقد عَدَّ الذهبي رحمه الله الجدالَ من الكبائر، فقال رحمه الله: "إن كان الجدال للوقوفِ على الحقِّ وتقريره، كان محمودًا، وإن كان الجدال في مدافعةِ الحقِّ أو كان بغير علم، كان مذمومًا، وعلى هذا التفصيل تُنَزَّل النصوصُ الواردة في إباحته وذمِّه"؛ (كتاب الكبائر: ص 221

وقال الإمام الخطيب البغدادي رحمه الله: "نظرنا في كتاب الله تعالى، وإذا فيه ما يدلُّ على الجدال والحِجاج، فمن ذلك قوله تبارك وتعالى: ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ [النحل: 125]، فأمر اللهُ رسولَه ﷺ في هذه الآية بالجدال، وعلَّمه فيها جميعَ آدابه؛ من الرِّفق، والبيان، والتزام الحقِّ، والرجوع إلى ما أوجبَتْه الحُجَّة، وقال تعالى: ﴿ وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ ﴾ [العنكبوت: 46]، وقال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ ﴾ [البقرة: 258]..

وكتاب الله تعالى لا يتعارض ولا يختلف، فتضمَّن الكتاب ذم الجدال والأمر به، فعلِمنا علمًا يقينًا أنَّ الذي ذمَّه الله تعالى غير الذي أَمَر به، وأنَّ من الجدال ما هو محمودٌ مأمورٌ به، ومنه ما هو مذمومٌ منهيٌّ عنه[1]، فطلبنا البيانَ لكلِّ واحد من الأمرين، فوجدناه تعالى قد قال: ﴿ وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ ﴾ [الكهف: 56]، وقال: ﴿ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ وَعِندَ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ [غافر: 35]، فبيَّن الله تعالى في هاتين الآيتين الجدالَ المذموم، وأعْلَمَنَا أنَّه الجدال بغير حجَّة، والجدال في الباطل، فالجدال المذموم وجهان:

1- الجدال بغير علم.

2- الجدال بالشَّغْب والتمويه؛ نُصرةً للباطل بعد ظهور الحقِّ وبيانه، قال تعالى: ﴿ وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴾ [غافر: 5

وأما جدال المُحِقِّين، فمن النَّصيحة في الدِّين، ألا ترى إلى قوم نوح عليه السلام؛ حيث قالوا: ﴿ يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا ﴾ [هود: 32]، وجوابه لهم: ﴿ وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ ﴾ [هود: 34].

وعلى هذا جرَت سنَّة رسول الله ﷺ فقال: ((جاهدوا المشركين بأموالِكم وأنفسِكم وألسنتِكم))، فأَوْجب المناظرةَ للمشركين، كما أوجَب النفقةَ والجِهاد في سبيل الله، وعلَّمنا رسولُ الله ﷺ وَضْع السؤال في موضعه، وكيفيَّة المحاجَّة في الحديث الذي ذَكر فيه محاجَّة آدم وموسى عليهما السلام..."، إلى أن قال رحمه الله: "وقد تحاجَّ المهاجرون والأنصار، وحاجَّ عبدالله بن عبَّاس ﷺ الخوارجَ بأمر علي بن أبي طالب ﷺ، وما أنكر أحدٌ من الصحابة قطُّ الجدالَ في طلَب الحق".

اهـ بتصرف؛ (الفقيه والمتفقه: 1/ 232 - 235)..221

أقوال وحكم في ذم الجدال

يقول عبدالله بن مسعود ﷺ: "لا تعلَّموا العلمَ لثلاث: لتماروا به السُّفهاء، وتجادلوا به العلماءَ، ولتصرفوا به وجوهَ النَّاس إليكم، وابتغوا بقولكم ما عِند الله؛ فإنَّه يدوم ويبقى، وينفد ما سواه"؛ (جامع بيان العلم؛ لابن عبدالبر: 1 /176.

(ويقول الأوزاعي رحمه الله: "إذا أراد الله بقومٍ شرًّا ألزمهم الجدلَ، ومنعهم العمل"؛ (شرح أصول الاعتقاد: 1/ 145

قال معروف الكَرْخيُّ رحمه الله: "إذا أراد الله بعبد شرًّا، أغلق عنه باب العمل، وفتح عليه باب الجَدَل"؛ (نزهة الفضلاء: 2 /714)

وسمع الحسن رحمه الله قومًا يتجادلون فقال: "هؤلاء مَلُّوا العبادةَ، وخفَّ عليهم القول، وقلَّ ورعُهم فتكلَّموا"؛ (الحلية: 2/ 157)

وقال الإمام مالك رحمه الله: "الجدال في الدِّين يُنشئ المراء، ويَذهب بنور العلم، ويُقسِّي القلب، ويورث الضعفَ"؛ (نزهة الفضلاء: 2/ 623)

قال أبو حنيفة لداود الطائي: لِمَ آثرتَ الانزواءَ؟ قال: لأجاهِد نفسي بتَرْك الجدال، فقال: احضر المجالس، واستمع ما • وعن محمد بن واسع رحمه الله قال: "رأيتُ صفوانَ بن •يُقال، ولا تتكلَّم، قال: ففعلتُ ذلك، فما رأيتُ مجاهدة أشدَّ عليَّ منها "مُحرز في المسجد، وقريبًا منه ناس يتجادلون، فرأيتُه قام فنفض ثيابه، وقال: إنَّما أنتم جَرَبٌ، إنما أنتم جَرَبٌ

الأسباب الباعثة على الجدال المذموم

1- الغرور والكبرياء والخيلاء، قال تعالى: ﴿ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْكَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ -1 [وَعِنْدَالَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴾ [غافر: 35

2- إظهار العلم والفَضْل

3- الاعتداء على الغير بإظهار نقصِه وقَصْد أذاه

فالخلاصة: أنَّ الجدال المذموم: عبارة عن قَصد إفحام الغير وتعجِيزه وتنقيصه، بالقَدْح في كلامه ونسبتِه إلى التهوُّر والجهل، وقد يكون الجدل هدفه ليس تخطِئة المتكلِّم؛ وإنَّما هدفه أن يَظهرَ المُجادِل بمظهر العالم، وصاحبِ الحجَّة والبيان

آداب الجدال

1- إنَّ الهدف من الجدال هو مُخاطبة العقول لتدبُّر أمْرٍ ما؛ لتهتدي فيه إلى الصواب وإلى الحق بغية اتباعه بأسبابِ الإقناع والمناظرة، والمجادلةِ بالتي هي أحسَن؛ لأنَّ الهدف هو إقناعُ المحاوَر؛ لعله يهتدي إلى الصواب وَفْق آدابٍ وضوابطَ ينبغي مُراعاتها ومِن تِلْكم الآداب أو الضَّوابط يمكن أن نذكر ما يلي:

2- إنَّ الهدف من الحوار هو الوصول إلى الحق، لا الانتصار للنفس وشهوة الظهور والغلَبة؛ فإنَّ الغلَبة في قراع العقول للأَقوى حجةً وبرهانًا

3- إشعار الخصْم بأهمية موضوع المحاورة وخطَره، وأنَّه مِن المواضع المهمة، وليس أمرًا لا عمل تحته، بل هو عمل له ما بَعْدَه، ويتحمَّل صاحبُه مسؤولية قراره،

4- الانطلاق مِن نقاط الاتِّفاق؛ فإنَّ ذلك أَدْعَى للاستماع؛ لما يُشعر به مِن الاشتراك، وهو تضييقٌ للاختلاف، وهوَّةُ الاختلاف كلما اتَّسعَت، صعُبَ الوصول للاتِّفاق.

5- الابتعاد عن الجزم بصواب رأيك وخطأ رأي خصمِك، وذلك واللهِ غايةُ الإنصاف، فلا تقُلْ لخصمك: استمع لأُبيّن لك صوابي وخطأك، بل قل له: أحدُنا على صواب، والآخر على خطأ، فتعالَ بنا نتحاور؛ لنعرف أيُّنا المصيب فنسلُك سبيلَه؛وقد تمثَّل الإمامُ الشافعي رحمه الله هذا الأدب الرفيع، فكان يقول: "رأيي صوابٌ يحتمل الخطأ، ورأي خصمي خطأ يحتمل الصوابَ، وما ناظرتُ أحدًا إلا أحببتُ أن يكُون الصوابُ على لسانه".

6- عدم تجريم الخصم ووصفِ مَذهبه بالبطلان، وإنِ اعتقدتَ جُرمَه وبُطلانَ مذهبه؛ لأنَّ

الهدف إقناعُه، لا الحكْم على مذهبه، بل يجب التنزُّل معه؛ لاحتمال أن تكون أنتَ المبطلَ وهو المحِقَّ، فإنَّ ذلك يسلُّ سخيمة صدره، ويفتح ذهنه وقريحته للاستدلال لمذهبه والاستماع لأدلَّتك، وإذا جهد في نصر مذهبه، وإبطال مذهبك فلم يُفلح، لم يكُن أمامه إلَّا الإذعان والتسليم لك إنْ ظهرَت حُجَّتُك على حُجَّتِه، وذلك غاية ما ترجو؛ ، ووصفه بالجرم أو الهدى مَتروك لنتيجة المجادلة والمحاورة، لا مسلَّمة يُبتدأ بها .

7- فسْح المجال للمحاوَر والمجادَل ليقولَ كلَّ ما عنده، والاستماع له بكلِّ هدوء وحُسْن إنصات، ففي ذلك الإنصاف له، ولعلَّه أن يأتي بما يُقنع إنْ كان مذهبه هو الصواب، أو لعلك تقعُ منه على مَكْمَن الشبهة، فتضع يدك على موضع الدَّاء، فتستخرجه مِن أقرب وجه، فإنَّ المُناظِر الذي يَحرص على الإقناع، كالطبيب يفسح المجالَ للمريض ليتكلم عن حالته بكل تفاصيلها؛ لعلَّه يصل إلى مكمن الداء وموضعه وتاريخه، ولذلك أثرُه في التشخيص والعلاج، ولو لم يكُن فيه إلَّا إقناع المريض بأنَّ الطبيبَ قد عرف حالته، لكان كافيًا، وإنْ عرف الطبيب حالته مِن غير طريق حديثِه عنها، فإن نفس المريض تكُون أكثر راحةً كلما تحدَّث عن مرضه بكل تفاصيله، والطبيب الحاذق يُدرِك ذلك، ويقدِّر مكانته وأثره في نفسية المريض، فرسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم لم يكُن يَشكُّ في أنه المهتدي، وأنَّ عبدةَ الأوثان هم الضَّالون، ولم يكُن يَشكُّ في أنَّ الجرم وصفٌ لمن عَبَد مع الله غيرَه، لكنه التنزُّل مع الخصم؛ ليسلس قياده، ومن ثم طلب منهم الحديث عن مذهبهم بكل ما أوتوا مِن حجة؛ ﴿ قُلْ أَرُونِيَ الَّذِينَ أَلْحَقْتُمْ بِهِ شُرَكَاءَ ﴾ [سبأ: 27]، أروني بكل ما أوتيتم مِن جدَل وحُسْن تقرير، فإنّي مُصغٍ لحججكم، فإنْ عجزتم فتعالوا إلى لازم ما اعترفتُ به وإيَّاكم مِن إفراد الله بالرزق والرُّبوبية والقُدرة المطلقة، فليكن هو المعبود وحده، فليس مِن الإنصاف أن يَرزُق ويَخلُق ويُنعِم ويكُون القادر قدرة مطلقة، ويُعبدَ غيرُه، بل هو المعبود لإحسانه وإنعامه وجلاله وكماله، وفي التعبير بالإلحاق - ﴿ أَلْحَقْتُمْ بِهِ شُرَكَاءَ ﴾ - ما يدل على أن الألوهية وصفٌ للأصنام لا تستحقُّه لِذاتِها، بل هو ادِّعاء لم تُقيموا عليه برهانًا، والأسماء لا تُغيِّر الحقائق، فالخمر خمر ولو سميت لبنًا.

8- الوصول إلى نتيجة والقبول بها فالهدف مِن المجادلة إنَّما هو الوصول إلى نتيجة، وليس الحوار هدفًا لِذاتِه، فما لم تكُن للحوار نتيجة، فهو مضيعة للوقت، ومَجلبة للتنافر والتدابر والفرقة.

"لنتأمل ونتدبر:قال الإمام الشافعي رحمه الله لصاحبه الربيع

يا ربيع،

"لا تتكلم فيما لا يعنيك؛ فإنك إذا تكلمت بالكلمة ملكَتْك ولم تملكها"

وروي عن عيسى عليه السلام أنه قال: "كل كلام ليس بذكر الله فهو لغوٌ، وكل سكوت ليس بفكر فهو غفلة، وكل نظرٍ ليس بعِبرة فهو لهو، فطوبى لمن كان كلامه ذِكرًا